بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان نشرى لكتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى سنة ١٩٤٧ باعثاً لى – منذ تحقيقه – على التفكير فى تجديد النحو بعرضه عرضاً حديثاً على أسس قويمة تصفِّيه وتروِّقه وتجعله دانى القطوف للناشئة. وقد رأيت ابن مضاء يهاجم نظرية العامل فى النحو وكل ماتصل بها من كثرة التقدير للعوامل المحذوفة وكثرة العلل والأقيسة ، مما أحاله إلى مايشبه شباكًا معقدة ، وكلما تخلَّص دارسه من إحدى شباكه تعثر فى أخرى ، فضلا عن شباك التمارين الافتراضية ، وربما كانت حلقات نسيجها أكثر ضيقاً. وأكثر هذه الشباك لاتدعو إليه حاجة لسانية فى تصحيح النطق بالكلام.

وكانت الصيحات ترتفع منذ أكثر من أربعين عامًا مطالبة بتيسير النحو وتخليصه ممافيه من تعقيد وعسر شديد ، وتألفت لذلك لجنة بوزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) وكتبتْ تقريرًا مسهبًا ضمنته مقترحاتها للتيسير المنشود. ودرس مجمع اللغة العربية فى مؤتمره سنة ١٩٤٥ هذه المقترحات ، وأدخل عليها بعض التعديلات. وأُلِّفَتْ بعد الثورة كتب النحو التعليمى على ضوء صورة التيسير التى أقرَّها المجمع ، غير أنه لم يُكْتَبْ لها النجاح.

وكنتُ قد وضعتُ بين يدى تحقيقى لكتاب الرد على النحاة مدخلا طويلا

اقترحت فيه تصنيفاً جديداً للنحو يذلِّل صعوباته أقمته على ثلاثة أسس أخذت بها جميعًا فى تأليفى لهذا الكتاب .

أولها إعادة تنسيق أبواب النحو بحيث يُستَغْنَى عن طائفة منها بِرَدِّ أمثلتها إلى الأبواب الباقية ، حتى لايتشتَّت فكر دارس النحو فى كثرة من الأبواب توهن قواه العقلية .

والأساس الثانى استضأت فيه بجوانب من آراء ابن مضاء فى كتابه وبمقترحات لجنة وزارة المعارف سالفة الذكر وقرارات مؤتمر المجمع اللغوى ، وهو إلغاء الإعراب التقديرى فى المفردات مقصورة ومنقوصة ومضافة إلى ياء المتكلم ومبنية . ورأيت فى هذا الكتاب أن يقال فيها جميعاً محل الكلمة الرفع أو النصب أو الجر . كما رأيت إلغاء الإعراب المحلى فى الجمل بحيث لايقال مثلا : الجملة خبر محلها الرفع بل يُكْتَفَى بالقول إن الجملة خبر ومثلها جملة النعت وجملة الحال وجملة الصلة وجملة جواب الشرط .

والأساس الثالث أن لاتُعْرَبَ كلمة لايفيد إعرابها أىَّ فائدة فى صحة نطقها ، ويتضح ذلك فى إعراب النحاة كلمة أَنْ المخففة – فى رأيهم – من أنَّ الثقيلة وأختها كأن المخفَّفه . وإعراب لاسيما ، وبعض أدوات الاستثناء ، وكم الاستفهامية والخبرية ، وأدوات الشرط الاسمية .

وفى سنة ١٩٧٧ قدمت إلى مجمع اللغة العربية مشروعاً لتيسير النحو أقمته على الأسس الثلاثة السابقة ، وأضفت إليها أساساً رابعاً هو وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المُطْلَق والمفعول معه والحال تَجْمَعُ صور التعبير فى كل منها جمعًا وافيًا . وأحال المجمع المشروع على لجنة الأصول وتدارسته دراسة علمية قيمة أفدتُ منها وانتفعتُ بها . وأقرّت اللجنة شطرًا

كبيرًا من مقترحات المشروع ، معدِّلة فى جوانب منها ، واعتمد مؤتمر المجمع قراراتها فى سنة ١٩٧٩ .

وظلتُ – بعد ذلك – أفكر فى وضع كتاب أجدِّد به النحو وأُقرِّبه من دارسيه بحيث يصبح مُذَّللاً سائغاً لهم ، وأخذت فى وضعه مهتدياً بالأسس الأربعة التى تضمنها مشروعى لتيسير النحو الذى قدمته إلى المجمع ، بادئاً بتنسيق أبوابه تنسيقاً جديداً بحيث حذفت منها ثمانية عشر باباً فرعيًّا كانت تثقل النحو وتجهد دارسه وترهقه من أمره عُسْرًا ، واهتديت إلى أساسين جديدين : خامس وسادس ضممتهما فى تأليف الكتاب إلى الأسس الأربعة السابقة وكنت قد بسطت القول فيهما بمحاضرة لى فى مؤتمر المجمع لسنة ١٩٨١ .

أما الأساس الخامس فحذف زوائد كثيرة فى أبواب النحو تُعْرَضُ فيه دون حاجة ، وقد أوضحتها فى مدخل الكتاب ، وهى تارة تتصل بشروط تُقْحَمُ على الباب تغنى عنها الأمثلة ، وتارة ثانية تتصل بأحكام تُحْشَدُ فى الباب تغنى عنها أيضًا أمثلته وصِيَغُه ، وتارة ثالثة تتصل بصيغ نادرة أو شاذة يُزَجُّ بها فى الباب زَجًّا ، وتارة رابعة تتصل بعقد وألغاز فى بعض الأبواب لاتكاد تُفْهَمُ إلاّ بأن يجدَّد لها الإفهام مراراً وتكراراً ، وكثيراً ماتدفع إلى بلبلة فى الحكم النحوى السليم . وكل هذه المتسلقات والأعشاب التى ملأت كتب النحو أحيتُها عن الكتاب . والأساس السادس لايقل أهمية عن سابقه . وهو خاص بزيادة إضافات لأبواب ضرورية – بجانب إضافات فرعية تتخلل الكتاب – تكمل الصياغة النحوية وأوضاعها تمثلا دقيقاً .

والكتاب موزع على مدخل وستة أقسام : قسمين للصرف وأربعة أقسام

للنحو . وقد بينت فى المدخل أسس تجديد النحو فى الكتاب . وتوالت فى أقسامه الإضافات الفرعية فقد أضفت فى فاتحة القسم الأول الصرفى منه قواعد لنطق الحروف وصفاتها وحركاتها وما يداخلها من التشديد والتنوين والمدّ والإدغام والإبدال مع عرض مواضع ألف القطع وألف الوصل . وأرى معرفة ذلك كله ضرورية لنطق الكلمات وحروفها فى العربية نطقًا سليمًا . وأضفت إلى هذا القسم الصرفى الأول فى الكتاب وعَرْضى فيه لأقسام الفعل جداولَ تصريفِه مع ضمائر الرفع المتصلة ومع نون التوكيد ، حتى يتمثّل دارس النحو هذين النوعين من التصريف تمثلاً حسنًا .

وفى القسم الصرفى الثانى الخاص بتقسيمات الاسم وتصاريفه أضفت الاستعمالات المتنوعة لتاء التأنيث اللفظى ، والفرق بين نون المثنى وجمع المذكر السالم ونون الأفعال الخمسة ، كما أضفت اسم الجمع واسم الجنس الجمعى والمصدر الصناعى إلى غير ذلك من استعمالات وصيغ مهمة . ووضعت فى هذا القسم باب المضاف والمضاف إليه وباب المتبوع والتابع : نعتًا وعطفاً وتوكيداً وبدلا ، ليستقر فى ذهن دارس النحو أن هذين البابين من أبواب الأسماء المفردة لا من أبواب الجمل .

وأضفت فى القسم الثالث الخاص بالمرفوعات إلى باب المبتدأ والخبر صيغة مستعملة قلَّما اهتم بها النحاة وتدور على الألسنة ، وفيها يُرْبَطُ بين المبتدأ المفيد للعموم والجملة الخبرية بالفاء أو بالواو .

وفى باب الفاعل أوضحت جواز التذكير والتأنيث للفعل إذا كان الفاعل جمع تكسير للذكور أو للإناث ، كما أوضحت وجوب تأنيث الفعل وإفراده مع جمع مالايعقل . وعادة لاتهتم كتب النحو ببيان ذلك . وأضفت بيان

حذف الفاعل أحياناً . وكيف أنه قد يأتى مجروراً لفظاً ومحله الرفع . وأيضاً أنَّ الفاعل قد يكون جملة ومثله نائب الفاعل . وذكرت طائفة من الأفعال المستعملة بصيغة الفعل المبنى للمجهول .

وفى القسم الرابع الخاص بالمنصوبات أضفت إلى باب المفعول به «كاد وأخواتها» و «ظن وأخواتها» و «أعلم وأخواتها» كما أضفت مفعولات تأتى منصوبة وحقها الجر . وأخرى تأتى مجرورة لفظاً وحقها النصب . وفى باب المستثنى أوضحت الفرق بين «إلا» أداة للاستثناء و «إلا» أداة للحصر . وأخرجت من الباب «غير وسوى» ليطرد إعرابهما فى صيغهما المستعملة . وأضفت «كان وأخواتها» إلى باب الحال . ونسقت باب التمييز مدمجاً فيه صيغ الصفة المشبهة واسم التفضيل وفعل التعجب وأفعال المدح والذم . وكنايات العدد . وصيغة الاختصاص . كما أدمجت فى باب النداء صِيَغَ الترخيم والاستغاثة والنُّدْبَة .

وأضفت فى القسم الخامس الخاص بالتكملات فى باب الممنوع من الصرف صيغة أُخَر جمعًا لأخرى وصيغ أُحاد ومَوْحد إلى عُشَار ومَعْشر . وفتحت باباً لعمل المصدر والمشتقات . وباباً ثانياً لحروف الزيادة جارة وغير جارّة .

والقسم السادس كله إضافات لأبواب مهمة بدأتها ببابين للذكر والحذف فى عناصر الصيغة العربية . وللتقديم والتأخير فى تلك العناصر . ثم أضفت باباً للجملة الأساسية وباباً لأنواع الجمل وقد قسمتها تقسيمًا جديدًا : جملاً مستقلة قائمة بنفسها وجملاً خاضعة غير مستقلة ترتبط بكلمة أو جملة قبلها فى الكلام . ولاتستقل عنهما أى استقلال .

ولعلّى بهذا الكتاب أكون قد حققت أملا طال انتظاره بتجديد النحو على منهاج وطيد يذلّله ويبسّطه ويعين على تمثّل قواعده واستكمال نواقصه . وواضح أن الكتاب عُنى فى القسمين الأولين بأقسام الفعل والاسم وتصاريفهما المتنوعة . وقد حُذف فيه من أقسام النحو التالية كما أسلفت ثمانية عشر باباً فرعياً اكتفاء باستيفاء أمثلتها فى الأبواب الباقية . وحُذف من الكتاب كل ما لا يفيد إعرابه صحة فى النطق والأداء . ووُضعَتْ ضوابط مستحدثة لبعض الأبواب المبهمة تجمع أمثلتها جمعاً بيّناً وطُرِحَت الزوائد والفضول التى كانت عالقة بالأبواب . وأضيفت أبواب جديدة . كما أضيف كثير من الدقائق المهمة فى الصياغة العربية . وإنى لشديد الأمل فى أن يُصبح نهج هذا الكتاب وتبويبه ومادته عتاداً يرجع إليه مؤلفو كتب النحو التعليمى ليضعوا على أسسه كتباً لهم متدرجة مع سنوات الناشئة فى التعليم حتى تستتم فى وضوح تمثّل مقومات العربية وأوضاع صيغها تمثلاً قويماً سديداً . والله ولى الهدى والتوفيق .

القاهرة فى أول نوفمبر سنة ١٩٨٢

شوقى ضيف

obeikandl.com